

روح المعاني

بذاته تعالى فليزِم أن يمتنع عليه الصدق فان ما ثبت قدمه استحالة عدمه واللازم باطل فانا نعلم بالضرورة أن من علم شيئا أمكن له أن يخبر عنه على ما هو عليه وهذا الوجهان انما يدلان على أن الكلام النفسى الذى هو صفة قائمة بذاته تعالى يكون صادقا ثم أتى بالوجه الثالث دليلا على استحالة الكذب فى الكلام اللفظي والنفسى على طرز ما فى المسلك الثانى وقد علمت ماللا مدى فيه فتدبر جميع ذلك ليظهر لك الحق .

فما لكم مبتدأ وخبر والاستفهام للانكار والنفى والخطاب لجميع المؤمنين وما فيه من معنى التوبيخ لبعضهم وقوله سبحانه : فى المنافقين يحتمل كما قال السمين أن يكون متعلقا بما يدل عليه قوله تعالى : فئتین أى فمالكم تفترقون فى المنافقين وان يكون حالا من فئتین أى فئتین متفرقتين فى المنافقين فلما قدم نصب على الحال وان يكون متعلقا بما تعلق به الخبر أى شئ كائن لكم فى أمرهم وشأنهم فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وفى انتصاب فئتین وجهان كما فى الدر المصون أحدهما أنه حال من ضمير لكم المجرور والعامل فيه الاستقرار أو الطرف لنيابته عنه وهذه الحال لازمة لا يتم الكلام بدونها وهذا مذهب البصريين فى هذا التركيب وما شابهه وثانيهما وهو مذهب الكوفيين أنه خبر كان مقدرة أى مالكم فى شأنهم كنتم فئتین ورد بالتزام تنكيره فى كلامهم نحو مالهم عن التذكرة معرضين وأما ما قيل على الأول : من أن أكون الحال بعضا من عامله غريب لا يكاد يصح عند الأكثرين فلا يكون معمولا له ولا يجوز اختلاف العامل فى الحال وصاحبها فمن فلسفة النحو كما قال الشهاب والمراد إنكار أن يكون للمخاطبين شئ مصحح لاختلافهم فى أمر المنافقين وبيان وجوب قطع القوم بكفرهم واجرائهم مجرى المجاهدين فى جميع الاحكام وذكرهم بعنوان النفاق باعتبار وصفهم السابق .

أخرج عبد بن حميد عم مجاهد قال : هم قوم خرجوا من مكة حتى جاءوا المدينة يزعمون أنهم مهاجرين ثم ارتدوا بعد ذلك فاستأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم الى مكة ليأتوا ببضائع لهم يتجرون فيها فاختلف فيهم المسلمون فقائل يقول هم منافقون وقائل يقول : هم مؤمنون فيبين الله تعالى نفاقهم وأنزل هذه الآية وأمر بقتلهم .

وأخرج بن جرير عن الضحاك قال : هم ناس تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقاموا بمكة وأعلنوا الايمان ولم يهاجروا فاختلف فيهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتولاهم ناس وتبرأ من ولايتهم آخرون وقالوا : تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يهاجروا فسماهم الله تعالى منافقين وبرأ المؤمنين من ولايتهم وأمرهم أن لا يتولهم حتى يهاجروا وأخرج

الشيخان والترمذى والنسائى وأحمد وغيرهم عن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى أحد فرجع ناس خرجوا معه فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فئتين فرقة تقول : نقتلهم وفرقة تقول : لا فأنزل الله تعالى فما لكم في المنافقين الآية كلها ويشكل على هذا ما سيأتى قريباً إن شاء الله تعالى من جعل هجرتهم غاية للنهي عن توليتهم إلا أن يصرف عن الظاهر كما ستعلمه وقيل : هم العرنيون الذين أغاروا على السرح وأخذوا يساراً راعى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومثلوا به فقطعوا يديه ورجليه وغرزوا الشوك في لسانه وعينه حتى مات ويرده كما قال شيخ الإسلام ما سيأتى إن شاء الله تعالى من الآيات الناطقة بكيفية المعاملة معهم في السلم والحرب وهؤلاء قد أخذوا وفعل بهم ما فعل من المثلة والقتل ولم ينقل أمرهم اختلاف المسلمين وقيل غير ذلك